أبو الوليد يونس بن الصفار ودوره الحضاري في الأندلس
(338 – 429 هـ / 949 – 1037م)

م.د. أحمد مخلف حسن
المديرية العامة لتربية الأنبار

الملخص:

تناولت صفحات هذا البحث الدور الحضاري لأحد علماء الأندلس وهو أبو الوليد يونس بن الصفار، إذ كان لهذ العالم الجليل إسهامات حضارية مميزة سواء في الحركة الفكرية أو بالجانب الإداري من خلال العلوم التي اهتم بها، والمناصب الإدارية التي تولاها في الأندلس، وقسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة، الأول منها خصص لحياته الشخصية، والمبحث الثاني لإسهاماته في الحياة الفكرية، والمبحث الثالث خصص للمناصب الإدارية والخطط التي توالها في الأندلس.

الكلمات المفتاحية: ابن الصفار، الاندلس، المكانة العلمية، الحركة الفكرية، خطط ادارية.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 11, Issue 38, Nov 2024
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Abu Al-Walid Yunus bin Al-Saffar and his cultural role In Andalusia (338-429 AH / 949 - 1037 AD)

Dr. Ahmed Mikhlif Hassan
General Directorate of Anbar Education

Abstract:

This research explores the cultural contributions of one of the Andalusian scholars, Abu al-Walid Yunus ibn al-Saffar. This esteemed scholar made significant contributions to both the intellectual movement and the administrative realm, particularly through the sciences he pursued and the positions he held in Andalusia. The research is divided into three sections. The first section is devoted to his personal life, the second examines his contributions to intellectual life, and the third discusses the administrative positions and plans he undertook in Andalusia.

Keywords: Ibn al-Saffar, al-Andalus, academic standing.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فما زال فضاء الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس واسعا أمام الباحثين والدارسين في هذا الميدان، ولاسيما أن هناك شخصيات علمية بارزة أسهمت إلى حد كبير في تطور الحضارة في الأندلس من خلال اسهاماتهم وانجازاتهم التي وثقتها المصادر المختصة، وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على إحدى هذه الشخصيات، وهو القاضي أبو الوليد يونس بن الصفار، الذي يعد من فقهاء الأندلس المشهورين، والذي كان له دور كبير في تطور الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، لاسيما في مجال الحياة الفكرية والادارية .

لم يكن اختياري لهذا الموضوع إلا لزيادة اهتمامي بميدان الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس واستكمالا لجهودي في مرحلة الماجستير والدكتوراه، فضلا عن الأثر الكبير الذي تركه هذا العالم الجليل من خلال مؤلفاته ودروسه ورحلاته العلمية التي أرفدت الحياة الثقافية في الأندلس، لاسيما في العلوم الدينية كالقرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف والفقة، والتي ترك بها بصمات واضحة، فكان له شيوخ وتلاميذ كثر داخل الاندلس وخارجها، وهذا ما دفعني لإفراد دراسة خاصة عن حياته الخاصة وجهودة العلمية والادارية، لاسيما أنه تولى عدة مناصب ادارية مهمة في الدولة مثل منصب القضاء والوزارة وغيرها، والتي اثبت مقدرته العالية في ادارتها، فأصبح محط ثقة الامراء والخلفاء متمتعا بمكانة متميزة عندهم .

اتبعت في دراسة هذا الموضوع منهجا يقوم على اساس تتبع النصوص الواردة في ترجمة هذا العالم الجليل وتوظيفها حسب خطة البحث، كما اعتمدت في دراستي هذه على مصادر متنوعة، لاسيما كتب التراجم التي اوردت ترجمة وافية عن هذا الفقيه والمحدث.

قسمت البحث إلى مقدمة و ثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة، تناولت في المبحث الأول حياته الشخصية من خلال اسمه ونسبه وكنيته وعائلته ، كذلك المدة التي عاش بها، ووفاته.

أما المبحث الثاني فخصصته لإسهاماته في الحياة الفكرية من خلال مؤلفاته العلمية وشيوخه وتلاميذه ورحلته في طلب العلم وميادين اختصاصه التي لم تقتصر على علم واحد بل تنوعت لتشمل علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقة، وخصص المبحث الثالث لدوره الإداري الذي هو جزء من دوره الحضاري من خلال المناصب الإدارية التي تولاها في الأندلس، لاسيما انه تولى عدة مناصب

مهمة ابرزها منصب القضاء والوزارة وغيرها، فضلا عن الخاتمة التي اودعت فيها جملة من الاستنتاجات والتوصيات الخاصة بموضوع البحث .

المبحث الأول
حياته ونشأته

أولا: اسمه ونسبه:

هو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله القرطبي.(ترتيب المدارك 15/8؛ الصلة، ص646؛ سير اعلام النبلاء، 596/15)

أما كنيته، فكان يكنى (أبا الوليد) (ابن شكوال، ص646)، ويعرف بـ (ابن الصفار) (جذوة المقتبس، 384/1)، ولم يذكر من أين جاءت تسمية الصفار، إلا أن المتتبع لكتب الأنساب يجد أن اسم الصفار بفتح الصاد وتشديد الفاء هي تسمية تطلق على من يبيع الأواني الصفارية (الانساب،315/8؛ اللباب243/2)، وقد اشتهر بهذه التسمية أفراد كثر من المشرق والمغرب، وربما يكون قد امتهن هذه المهنة او احد من اجداده فسمي بذلك، الا اني لم اجد ما يؤكد في مصادر ترجمته.

ثانيا: ولادته ونشأته:

ولد ابن الصفار وباتفاق المصادر في مدينة قرطبة حاضرة الاندلس من شهر ذي القعدة سنة 338هـ/949م) ونشأ في قرطبة أيضا، ومنذ نشأته بادر إلى طلب العلم، فسمع من كبار العلماء في الأندلس وغيرها، فأصبح من أعيان الأندلس المشهورين، لاسيما أن المدة التي عاش بها كانت تمثل أوج ازدهار الأندلس من الناحية الفكرية والعلمية لما شهدته الأندلس في هذه المدة من استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية، إذ عاش سنيه الأولى في عهد الخلافة الأموية 316 – 422 / 928 – 1030، وكذلك عهد الدولة العامرية إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة 422 هـ / 1030م، وشهدت هذه المدة نشاطا علميا وفكريا واسعا، إذ أصبحت قرطبة من أعظم الحواضر

العلمية في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله350-366هـ/912-976م، الذي عرف باهتمامه بالعلم والعلماء وجمع الكتب، حتى يذكر أن مكتبته تضم نوادر الكتب وقد بلغ عدد الكتب فيها حوالي أربعمائة ألف مجلد. (نفح الطيب، 395/1)

أما القسم الثاني من حياته فقد عاشه في فترة الفتنة البربرية التي اجتاحت الأندلس سنة 399 هـ /1008م، إذ كانت أحوال الأندلس غير مستقرة سياسيا وتنذر بالتغيير، وقد رافق هذه الأحداث سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وعاشت الأندلس في فترة من التفكك السياسي وظهر عهد جديد يعرف بعهد دويلات الطوائف. (البيان المغرب، 93/3 وما بعدها).

ثالثا: عائلته:

لم تزودنا كتب التراجم بمعلومات وافية عن عائلته كزوجته وأولاده. إلا أننا وجدنا ترجمة وافية لأبيه وأحد أحفاده المشهورين:

اما أبوه فهو عبد الله بن محمد بن مغيث يكنى أبا محمد بن الصفار، وكان مشهورا بالعلم والأدب، وكان ممن حظي بمكانة مميزة عند الخليفة الحكم المستنصر بالله، وكان أثرا عنده، وله معه موقف مشهور ذكره ابنه يونس بن الصفار. ويذكر ابن الصفاء ايضا أن والده توفي سنة 352 هـ/ 963 م. (بغية الملتمس، 333/1).

وممن عثرت على ترجمة له من أحفاد ابن الصفار المشهورين هو يونس بن محمد بن مغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد بن الصفار، من أهل قرطبة أيضا، وكان فقيها ومحدثا مشهورا، ولد في شهر رجب سنة 447 هـ/1055 م، وتوفي في سنة 531 هـ / 1136 م، وكان له شيوخ وتلاميذ. (بغية الملتمس، 513/1؛ التكملة، 230/4).

رابعا: محاسنه وصفاته:

حمل ابن الصفار في شخصيته محاسن وصفات كثيرة ميزته عن غيره من علماء الأندلس، فأصبحت سمته الخاصة التي يعرف بها، وقد وصفته المصادر بأنه: (كثير المحاسن) (كتاب العبر،

261/2؛ شذرات الذهب، 148/5)، وكان يميل في مذهبه إلى التصوف وكان رجلا صالحا شديد الزهد والورع في الدنيا راضيا فيها باليسير. (الصلة، 646؛ تاريخ قضاة الاندلس، 95).

ذكر ابن بشكوال، وأيده النباهي أنه كان كثير الخشوع في خطبته لا يتمالك نفسه من البكاء، كما يذكر ابن بشكوال أيضا أنه لم ير أحدا من شيوخه ممن يضاهيه في جميع أحواله وكان إذا ذكر بشيء من أمور الآخرة يصفر وجهه، ويشتد في بكائه. كما يذكر أن النور كان باديا في وجهه. (الصلة، ص647).

كما عرف عنه (رحمه الله) ومنذ نشأته أنه كان مبادرا لعمل الخير مع الأدب، وكان معروفا أيضا بصحبته للصالحين من أبناء عصره منذ حداثته، وحافظا لأخبارهم وسيرهم. (الصلة، ص647).

نال ابن الصفار بعلمه وصفاته ومحاسنه خيري الدنيا والآخرة بشهادة من ترجم له، ونتيجة لميله إلى الزهد والورع، كان له في هذا الجانب مؤلفات وأشعار فريدة نقلتها لنا كتب الفهارس والأدب. (ينظر المباحث اللاحقة للبحث).

خامسا: وفاته:

توفي ابن الصفار (رحمه الله) في يوم الجمعة من شهر رجب من سنة 429 هـ /1037 م ، ودفن في اليوم نفسه الذي مات فيه بمقبرة ابن عباس، ويذكر ابن بشكوال أن وقت وفاته كانت غيث وابل، وقد شهد تشييعه أناس كثر من أهل قرطبة والأندلس. (الصلة ، ص647 ؛ ترتيب المدارك ، 19/8؛ تاريخ قضاة الاندلس ، ص96؛ الوافي بالوفيات ، 182/29)

عاش يونس بن الصفار إحدى وتسعين سنة، وكان من أكبر المحدثين في الأندلس سنا، ويذكر أنه توفي وهو سليم الحواس ويخطب ويؤلف. (الصلة، ص647؛ سير اعلام النبلاء، 570/15).

المبحث الثاني
اسهاماته وآثاره العلمية

أولا: مكانته العلمية أقوال العلماء فيه:

حظي يونس بن الصفار بمكانة علمية واجتماعية مميزة بين علماء عصره وجاء ذلك واضحا من خلال النصوص الواردة في ترجمته، وقد شهد له من عاصره وكتب عنه من تلاميذه بسعة علمية وفضله في سائر العلوم، فيذكر القاضي عياض أنه:(كان رجلا صالحا، قديم الخير والطلب مع الأدب). (ترتيب المدارك، 16/8).

كما ورد في ترجمته عند الحميدي أنه:(كان من أعيان أهل العلم). (جذوة المقتبس، 384/1)، ومما زاد في علو مكانته العلمية أنه كان معروفا بصحبته للعلماء منذ صغره وكان حافظا لأخبارهم وعلومهم، حتى وصفه ابن تغري بردي مؤكدا علو مكانته العلمية بأنه:(كان من أوعية العلم) (النجوم الزاهرة، 29/5)، كما ورد في ترجمته عند الصفدي بأنه كان:(شيخ الأندلس في عصره). (الوافي بالوفيات، 182/29).

ومما زاد في تطور مكانته العلمية هو كثرة مشايخه الذي لقيهم وأخذ عنهم، فقد اختلفت بيئاتهم وتخصصاتهم العلمية، وهذا يدل على أنه كانت له رحلة علمية إلى مختلف الأقاليم، وإن لم تذكر المصادر شيئا عن رحلته إلا أن المتتبع لأخباره يجد أنه قد رحل لطلب العلم، والدليل على ذلك كان له شيوخ كثر من المشرق والمغرب.

ثانيا: شيوخه وتلاميذه:

كان لابن الصفار سيوخ وتلاميذ كثر سواء داخل الأندلس وخارجها نقلتها لنا كتب التراجم، وسنذكر أبرز شيوخه المعروفين الذين لقبهم وأخذ عنهم.

شيوخه داخل الأندلس:

1. أبو بكر محمد بن معاوية المعروف بـ (ابن الأحمر) (ت358هـ – 995م) هو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق بن عبد الله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وهو من أشهر محدثي الأندلس وعلمائها. (سير اعلام النبلاء، 86/16).

2. عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد (ت366هـ / 976م): من أهل قرطبة يكنى أبا الحسن، فقيه مشهور له شيوخ وتلاميذ كثر. (ترتيب المدارك، 359/8؛ تاريخ علماء الاندلس، 306/1) .
3. أبو عيسى الليثي (ت367 هـ / 977 م): هو يحيى بن عبد الله بن يحيى، فقيه ومحدث مشهور في الأندلس. (تاريخ علماء الاندلس، 189/2).
4. أبو بكر بن القوطية (ت 376 هـ / 977 م): هو محمد بن عمر بن عبد العزيز، من أهل قرطبة، كان فقيها وعالما باللغة. (ترتيب المدارك، 296/6؛ جذوة المقتبس ، 76/1)
5. محمد بن السليم (ت367 هـ / 977م): هو محمد بن اسحاق بن منذر، يكنى أبا بكر قاضي الجماعة في قرطبة، وكان فقيها ومحدثا مشهورا. (تاريخ علماء الاندلس، 80/2؛ جذوة المقتبس، 43/1).
6. أبو عبد الله بن مفرج (ت371 هـ / 981م): هو محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري، من أهل قرطبة، من أهل العلم والحديث. (جذوة المقتبس، 40/1)
7. أبو زكريا بن عائذ (ت375 هـ / 985 م): هو يحيى بن مالك بن عائذ، من أهل قرطبة ومحدثيها المشهورين. (تاريخ علماء الاندلس، 190/2).
8. أبو جعفر بن عون الله (ت 378هـ / 988 م): هو أحمد بن عون الله بن حدير، من أهل قرطبة وكان فقيها ومحدثا. (تاريخ علماء الاندلس، 67/1؛ بغية الملتمس، 198/1).
9. محمد بن زرب (ت381 هـ / 991 م): هو محمد بن يبقى بن زرب بن يزيد بن مسلمة، قاضي الجماعة في قرطبة، وكان عالما جليلا وفقيها مشهورا. (تاريخ علماء الاندلس، 96/2).
10. ابن أبي زمنين (ت399 هـ /1008 م): هو محمد بن عبد الله الألبيري فقيه مشهور. (جذوة المقتبس، 56/1).

شيوخه من خارج الأندلس:

1. أبو الحسن بن رشيق (ت 370 هـ / 980 م): هو محمد أبو الحسن بن رشيق، إمام مصر ومحدثها المشهور. (سير اعلام، 280/16)
2. أبو الحسن الدارقطني (ت 386 هـ / 996 م): من أهل العراق، فقيه ومحدث مشهور. (سير اعلام ، 449/16)
3. أبو محمد عبد الله بن أبي زيد الفقيه (ت 386 هـ / 996 م): من أشهر فقهاء المالكية في القيروان. (ترتيب المدارك، 219/6).

4. أبو يعقوب بن الدخيل (ت 388 هـ / 998 م): هو يوس بن أحمد الصيدلاني المكي، من أهل مكة، فقيه ومحدث. (سير اعلام، 27/17).

تلاميذه:

1. أبو عمر بن سميق (ت 450 هـ / 1085 م): هو أبو عمر أحمد بن يحيى بن أحمد، من أهل قرطبة، محدث مشهور وله مشاركة في عدة علوم. (الصلة، ص59).
2. أبو محمد بن حزم (ت 456 هـ / 1063 م): هو علي بن أحمد بن سعيد القرطبي، الفقيه الحافظ. (سير اعلام، 187/18).
3. أبو عمر بن عبد البر (ت463 هـ / 1070 م): هو يوسف بن عبد الله النمري، الإمام الحافظ شيخ علماء الأندلس، وكبار محدثيها. (ترتيب المدارك ، 187/8).
4. أبو عمر بن الحذاء (ت 467 هـ / 1074 م): هو أحمد بن محمد بن يحيى، فقيه ومحدث مشهور. الصلة، ص65).
5. أبو محمد مكي بن أبي طالب المقرئ: (ت 474 هـ / 1081 م): من أهل قرطبة، محدث. (الصلة، ص533).
6. أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ / 1081 م): هو سليمان بن خلف من علماء قرطبة المشهورين. (ترتيب المدارك، 117/8).
7. أبو عبد الله محمد بن فرج الطلاعي القرطبي (ت 497 هـ / 1103 م): فقيه ومحدث مشهور. (سير اعلام، 199/19).

ثالثا: ميادين اختصاصه:

الحديث والفقه:

كان للعلوم الشرعية ولاسيما الحديث والفقه النصيب الأكبر من اهتمامات ابن الصفار ومنذ سنيه الأولى لطلب العلم، وكل شيوخه الذين أخذ منهم كانوا من كبار الفقهاء والمحدثين في الأندلس وغيرها، وقد بلغ ابن الصفار في هذين العلمين مكانته كبيرة ومميزة بين علماء عصره، وأصبح معروفا بقوة سنده وروايته، وهذا ما ذكره القاضي عياض أن ابن الصفار هو أسند من بقي في الأندلس من المحدثين وأعلاهم ومن أكثرهم جمعا للرواية. (ترتيب المدارك ، 15/8؛ المغرب في حلا المغرب، 159/1).

ويذكر ابن بشكوال في سياق ترجمته لإبن الصفار وعلى لسان أحد أصحابه وهو أبو عمر بن مهدي أنه قرأ وبخطه أن ابن الصفار:(كان من أهل الحديث والفقه كثير الرواية). (الصلة ، ص646؛ شذرات الذهب ، 148/5).

كان لكتاب (الموطأ) للإمام مالك النصيب الأكبر من اهتمامات ابن الصفار في هذا الميدان، وكان يحدث به في حلقات درسه وأخذ روايته من كبار علماء المالكية في الأندلس. ولا غرابة في ذلك إذ أن مذهب الإمام مالك كان الأكثر انتشارا في الأندلس بل أن فتيا علماء الأندلس تسير وفقه، وقد ألف ابن الصفار في هذا الميدان كتابا سماه (الموعب في تفسير الموطأ)، (ترتيب المدارك ، 17/8)، كما قام بجمع رسائل شيخه الفقه القاضي محمد بن زرب في مؤلف آخر، وعلى الرغم من اهتمامه بكتاب الموطأ، إلا أنه كان يحدث بكتب السنن الأخرى في حلقات دروسه، مثل (سنن النسائي) عن شيخه أبي بكر محمد بن معاوية. (سير اعلام، 569/15).

الأدب والشعر:

لم يقتصر ابن الصفار في اهتماماته العلمية على العلوم الشرعية فقط، وإنما كان لعلوم اللغة العربية وآدابها نصيبا جيدا من اهتماماته لاسيما الأدب والشعر، فكان إلى جانب كونه فقيها ومحدثا كان أديبا وخطيبا بليغا، وقد حملت المصادر التي ترجمت له ما يؤيد ذلك، فأورد القاضي عياض في ترجمته أنه :(كان مقدما في علم اللسان والأدب حسن البلاغة) (ترتيب المدارك، 17/8؛ المغرب، 159/1)، وأورد ابن بشكوال أيضا أنه :(كان وافر الحظ من علم اللغة العربية قائلا للشعر النفيس في معاني الزهد وما شابه) (الصلة، 647؛ تاريخ قضاة الاندلس، 96)، كما ورد في ترجمته أيضا أنه:(علامة في اللغة العربية والشعر فصيحا مفهوما). (الوافي بالوفيات، 182/29)

تجسدت بلاغة ابن الصفار من خلال خطبه التي ألقاها فكانت كلماته مؤثرة في مسامع الناس، ويبدو أن براعة ابن الصفار في الشعر والأدب لم تأت من فراغ إذ كان أبو عبد الله مشهورا بالأدب والشعر، وكان مهتما بجمع أشعار الخلفاء من بني أمية، وله في ذلك تأليف منفرد بطلب من الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله وقصة هذا المؤلف حفظتها لنا كتب الأدب والتراجم، ومفادها أن الحكم المستنصر بالله عندما أراد الخروج لأحدى غزواته سنة 352 هـ / 963 طلب من أبي يونس الخروج معه، فاعتذر وقتها بسبب كبر سنه وضعف بدنه، فوافق الخليفة المستنصر بالله بشرط أن يؤلف له كتابا عن أشعار خلفاء بني أمية في الأندلس، على شاكلة كتاب الصولي في أشعار خلفاء بني

العباس، فوافق أبي يونس على ذلك، وألف مجلدا أعطاه للخليفة الحكم المستنصر بالله. (بغية الملتمس، 333/1؛ مطمح الانفس ، ص290).

حفظت لنا كتب الأدب نماذج من أشعار ابن الصفار وأبيه، وكل هذه الأشعار كانت في معاني الزهد والرقائق منها ما ذكره القاضي عياض على لسان ابن حيان قوله:

أدافع أيامي بقصد وبلغة وألزم نفسي الصبر عند الشدائد

وأعلم أني في مكابدة البلاء بعين الذي يرجوه كل مكابد

(ترتيب المدارك، 18/8)

ومن شعره أيضا:

سارع إلى الخير وبادر به فإن من خلفك ما تعلم

لا تسأم الكد وطول السرى فطالب الفردوس لا يسأم

(ترتيب المدارك، 19/8)

وله أيضا قصيدة مطلعها:

فررت إليك من ظلمي لنفسي واوحشني العباد فأنت أنسي

رضاك هو المنى وبه افتخاري وذكرك في الدجى قمري وشمسي

(مطمح النفس، ص290)

- **مؤلفاته العلمية:**

كان لابن الصفار مؤلفات علمية كثيرة، ذكرتها كتب التراجم والفهارس، وكانت السمة البارزة لمؤلفاته هي أنها تجسد معاني الزهد والورع معبرا بذلك عن شخصيته وقد ذكرت المصادر أن كل كتبه كانت نافعة ومفيدة، كما أنها كانت تدرس من قبل تلامذته في حلقات دروسهم ، وما يؤيد ذلك

ما ذكره ابن خير الأشبيلي، أنه تلقى عن شيوخه جميع مؤلفات ابن الصفار، وجميع رواياته عن شيوخه. (فهرسة ابن خير، ص294) .

ومن مصنفاته المشهوره:

1. كتاب الموعب في تفسير الموطأ. (ترتيب المدارك ، 18/8؛ الاعلام، 262/8)
2. كتاب جمع فيه رسائل ابن زرب الفقيه. (ترتيب المدارك، 18/8)
3. كتاب التسبب والتيسير. (الصلة، ص647؛ كشف الظنون، 285/3)
4. كتاب الابتهاج لمحبة الله عز وجل. (معجم المؤلفين، 349/13؛ هدية العافين، 572/2)
5. كتاب المنقطعين إلى الله عز وجل. (معجم المؤلفين، 349/13)
6. كتاب فضائل المجتهدين. (هدية العارفين، 572/2)
7. كتاب المستصرخين بالله عند نزول البلاء. (ترتيب المدارك، 18/8؛ معجم المؤلفين، 349/13)
8. كتاب التهجد. (ترتيب المدارك، 18/8)
9. كتاب التسلي عن الدنيا بتأمل خير الآخرة من الغنى. (هدية العارفين، 572/2)
10. كتاب فضائل الأنصار. (ترتيب المدارك، 19/8)
11. كتاب الموجز الكافي ودعاء الصالحين. (ترتيب المدارك، 19/8)
12. كتاب طب القلوب والشافي من ألم الذنوب. (ترتيب المدارك، 19/8)
13. كتاب أنس الوحيد. (ترتيب المدارك، 19/8)
14. كتاب المراقب والمحاضر. (ترتيب المدارك، 19/8)
15. كتاب المعمرين. (ترتيب المدارك، 19/8)
16. كتاب الحكايات. (ترتيب المدارك، 19/8)
17. كتاب فضائل السير في الزهد. (ترتيب المدارك، 19/8)

المبحث الثالث

الخطط الإدارية التي تولاها ابن الصفار

1. خطة القضاء:

تعد خطة القضاء من الخطط الإدارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، وقد حرص أمراء وخلفاء الأندلس على توليتها لمن تتوفر فيه الشروط من الفقهاء والعلماء المشهورين، وإذا ما تتبعنا النصوص الواردة في ترجمة ابن الصفار نجد أن اسمه ارتبط ارتباطا وثيقا بهذه الخطة منذ وقت مبكر من حياته، إذ كان ابن الصفار من الفقهاء المشهورين وذي منزلة كبيرة عند حكام الأندلس، فقد تولى القضاء أكثر من مرة في حياته سواء في قرطبة وغيرها، فيذكر أن أول مرة تولى بها القضاء كان في مدينة بطليوس[1] واعمالها(الصلة، ص646).

تدرج ابن الصفار في توليه هذه الخطة من الكور والأقاليم إلى أن أصبح بمنصب قاضي الجماعة في قرطبة وهو أعلى سلطة قضائية في الأندلس، وقد تولاها مرتين في حياته، كانت الأولى في عهد الدولة العامرية. (الصلة، ص646).

لم يستمر ابن الصفار في توليه قضاء الجماعة طويلا في المرة الأولى، فقد عزل عنها ولزم بيته مدة، ولم يذكر سبب عزله إلا أننا نلتمس من خلال ترجمته أنه لم يرغب بتولي هذا المنصب أسوة بباقي فقهاء الأندلس الذين امتنعوا عن تولي القضاء لعظم هذا المنصب وخطورته، إلا أن ابن الصفار لم يستمر عزله، فيذكر أن هشام بن محمد المرواني[2]، قلده منصب قاضي الجماعة في قرطبة للمرة الثانية في سنة 419 هـ / 1028م، وهو شيخ كبير في السن تجاوز الثمانين من عمره. على الرغم من عدم رغبته في ذلك إلا بعد جهد ومكابرة. (تاريخ قضاة الاندلس، ص95؛ المغرب في حلا المغرب، 159/1)

بقي ابن الصفار قاضيا للجماعة في قرطبة إلى حين وفاته سنة 429 هـ/ 1037م، وهو بذلك كان خاتمة قضاة بني أمية في فترة الفتنة التي اجتاحت الأندلس. (ترتيب المدارك، 17/8؛ المغرب، 159/1).

(1) بطليوس : هي أحدى مدن الأندلس المشهورة، غربي قرطبة، (صفة جزيرة الأندلس، ص46).

(2) هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (المعتمد بالله)، وهو آخر ملوك بني أمية بالأندلس، حول أخباره وترجمته، ينظر: (البيان المغرب 145/3).

2. خطة الشورى:

تعد خطة الشورى من الخطط الإدارية الدينية، ويعد الفقيه المشاور هو أحد أعوان القاضي في الأندلس، ولا يولى هذه الخطة إلا من تتوفر فيه الشروط اللازمة، ويحضر الفقيه المشاور مجلس القاضي يشاوره في بعض المسائل الفقهية، وقد وردت إشارات واضحة على أن ابن الصفار تولى هذه الخطة، وكانت بداية توليته هو بترشيح من قاضي الجماعة أبي بكر محمد بن زرب، فقد كان مشاورا له في مجلسه. (ترتيب المدارك، 16/8).

ونتيجة لارتباطه بهذه الخطة وملازمته لقاضي الجماعة وصفته بعض المصادر بـ (الفقيه المشاور) (فهرسة ابن خير، ص405)، وظل ابن الصفار مشاورابعدة مدن اندلسيةمثل مدينة بقرطبة والزهراء والزاهرة كبرى مدن الأندلس إلى أن تولى أحكام القضاء فيما بعد (ترتيب المدارك، 17/8؛ الصلة، ص646)، ويبدوا أن سبب توليه للقضاء هو توليه لمنصب الشورى.

3. خطة الوزارة:

لم يقتصر ابن الصفار على توليه خطة واحدة وإنما تولى أكثر من خطة، ففي بعض الأحيان يتقلد أكثر من خطة في وقت واحد، وردت إشارات على توليه خطة الوزارة إلى جانب القضاء والشورى، فيذكر أنه تولى الوزارة مع خطة الصلاة والخطبة (الصلة، ص646؛ شذرات الذهب، 148/5)، وكان ذلك قبل أن يوليه هشام بن محمد خطة القضاء ، فعندما تولى قضاء الجماعة عزل عن خطة الوزارة. (الصلة، ص646).

4. خطط أخرى

فضلا عن تولي ابن الصفار الخطط التي ذكرناها وجدنا إشارات واضحة على أنه تولى خطط أخرى لا تقل أهمية عن غيرها، ومنها خطة الرد وهي إحدى الخطط الإدارية المهمة في الأندلس، وقد تولاها في عهد الدولة العامرية أيضا إضافة إلى توليه خطة الصلاة والخطبة في المسجد الجامع في قرطبة، وكذلك ذكر أنه تولى خطة الشرطة أيضا. (ترتيب المدارك ، 17/8؛ الصلة، ص646)

مما تقدم يلاحظ أن ابن الصفار في بعض الأحيان يقلد خطة معينة ويصرف عنها ويقلد الأخرى، وفي أحيان أخرى يقلد أكثر من خطة في وقت واحد، ومهما يكن من أمر فإن تعدد الخطط الإدارية التي تولاها يدل على مدى ثقة حكام الأندلس به، فضلا عن مقبوليته من عامة الناس في الأندلس، كما يدل على مقدرته في إدارة هذه الخطط وإخلاصه في خدمة بلده.

الخاتمة:

من خلال صفحات هذا البحث نستنتج ما يلي:

1. للموضوع أهمية كبيرة ساهمت إلى حد ما في الكشف عن جهود أحد علماء الأندلس في الحركة الفكرية والثقافية والإدارية.
2. اكتسب ابن الصفار مكانة عالية عند الأمراء والخلفاء وعامة الناس من أهل الأندلس نتيجة لمكانته الدينية والعلمية واتصافه بالزهد والورع وصحبة الصالحين فكان شخصية اجتماعية مؤثرة في مجتمعه.
3. اسهم تدرج ابن الصفار في عدة مناصب إدارية كخطة الشورى والرد وغيرها إلى تطور مهاراته وقدراته في إدارة منصبه قاضي الجماعة في قرطبة.
4. ساعدت الظروف التي مرت بها الأندلس في عهد الخلافة والدولة العامرية إلى تطور الحياة الفكرية وهيأت فرصة للعلماء والفقهاء في زيادة نشاطهم العلمي ومنهم ابن الصفار الذي كان صاحب مكانة عند الخلفاء مما انعكس ذلك ايجابا على تطور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.
5. على الرغم من كثرة المؤلفات العلمية التي ألفها ابن الصفار إلا أن مؤلفاته لم تصل الينا لا مطبوعة ولا محققة ولا مخطوطة، ويبدو أنها فقدت مع ما فقد من مؤلفات في الأندلس عند دخول الإسبان، ومهما يكن من أمر فإن مؤلفات ابن الصفار كان لها دور في تطور الحركة الفكرية في الأندلس لاسيما أن اختصاصاته متنوعة ومفيدة.
6. لا زال المجال مفتوحا أمام الباحثين لتسليط الضوء على شخصيات أخرى لاسيما من العلماء والفقهاء في الأندلس، والذين كان لهم دور بارز في تطور الحضارة العربية الإسلامية، وسنحاول إن شاء الله في بحوث لاحقة تقديم دراسات جديدة.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، (ت 658 هـ / 1258 م).

1- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، (بيروت، 1995 م).

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، (ت 630 هـ / 1232 م)،

2- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، (بيروت).

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت578 هـ / 1182 م).

3- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، نشره وصححه السيد عزت العطار، ط2، (مكتبة الخانجي، 1955 م).

- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين (ت1399 هـ)

4- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (اسطنبول، 1951 م).

- ابن تغري بردي، أبو المحسن جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت874 هـ / 1469 م).

5- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتاب، (مصر).

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ).

6- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1941م).

- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي (ت488هـ).

7- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف، (القاهرة، 1966م.).

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت 866 هـ / 1461م).

8- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، (دار الجيل، بيروت، 1987م).

- ابن خاقان ، الفتح بن محمد بن عبد الله ، (ت 528هـ)

9- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، تحيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1983) .

- ابن خير الأشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، (ت575هـ).

10- فهرسة ابن خير الأشبيلي، تحقيق فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1998م)، ط2.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان (ت748هـ).

11- سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة (1985م).

12- كتاب العبر، تحقيق أبو هاجر محمد بن السعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ط1.

- الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمد الدمشقي، (ت1396هـ).

13- الأعلام، دار العلم للملايين، (2002م).

- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، (ت685هـ).

14- المغرب في حلا المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، (القاهرة، 1955م)، ط3.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت562 هـ / 1166م).
15- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى، نجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد، 1962)، ط1.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت764 هـ / 1362م).
16- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت، 2000 م).
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، (599هـ).
17- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، (القاهرة، 1967م).
- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي(ت712هـ).
18- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1983م).
- ابن العماد، أبو فلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، (ت1089هـ).
19- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط.
- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، (ت544هـ).
20- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعد أحمد عراب، (المغرب 1966م).
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد، (ت799هـ).
21- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت).
- ابن الفرضي، عبد الله محمد بن يوسف الأزدي، (ت403هـ).
22- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، (القاهرة، 1988م).
- كحالة، عمر بن رضا بن محمد الدمشقي، (ت 1408 هـ / 1987 م).
23- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، (بيروت).
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، (ت1041هـ).
24- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1997م).
- النباهي ، ابو الحسن علي بن عبدالله ،(ت 792هـ/)،
25- تاريخ قضاة الاندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،تحقيق لجنة من احياء التراث العربي ،دار الافاق الجديدة ،(بيروت ، 1983م).
- اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان (ت767هـ).
26- مرآة الجنان وعيرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1997م)، ط1.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

- Ibn al-Abbar, Muhammad ibn Abdullah ibn Abi Bakr al-Quda'i, (d. 658 AH / 1258 AD)
1- The Supplement to the Book of Connection, edited by Abdul Salam al-Haras, Dar al-Fikr, (Beirut, 1995 AD).
- Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm al-Shaibani al-Jazari, (d. 630 AH / 1232 AD),
2- al-Lubab fi Tahdhib al-Ansab, Dar Sadir, (Beirut).
- Ibn Bashkuwal, Abu al-Qasim Khalaf ibn Abd al-Malik, (d. 578 AH / 1182 AD).
3- Connection in the History of the Imams of Andalusia, published and corrected by Sayyid Izzat al-Attar, 2nd ed., (Khanji Library, 1955 AD).
- Al-Baghdadi, Ismail bin Muhammad Amin (d. 1399 AH /)
4- Hadiyyat al-Arifin, the names of authors and the works of authors, (Istanbul, 1951 AD).
- Ibn Taghri Bardi, Abu al-Muhsin Jamal al-Din Yusuf bin Abdullah (d. 874 AH /1469 AD).
5- Al-Nujum al-Zahira fi Muluk Misr wa al-Qahira, Dar al-Kutub, (Egypt).
- Haji Khalifa, Mustafa bin Abdullah (d. 1067 AH).
6- Kashf al-Zunun an Asmi al-Kutub wa al-Funun, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut, 1941 AD).
- Al-Hamidi, Abu Abdullah Muhammad bin Futooh al-Azdi (d. 488 AH).
7- Jadwat al-Muqtabas fi Dhikr al-Wali al-Andalus, Dar al-Masryia for Authorship, (Cairo, 1966 AD).
- Al-Hamdani, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul-Muneim, (d. 866 AH / 1461 AD),
8- Description of the Andalusian Peninsula, selected from the book Al-Rawd Al-Mu'tar fi Khair Al-Aqtar, edited by Levi-Provençal, (Dar Al-Jeel, Beirut, 1987 AD).
- Ibn Khaqan, Al-Fath bin Muhammad bin Abdullah, d. 528 AH /)
9- The Aspiration of Souls and the Theater of Intimacy in the Salt of the People of Andalusia, edited by Muhammad Ali Shawabkeh, Al-Risalah Foundation, (Beirut, 1983).
- Ibn Khair Al-Ashbili, Abu Bakr Muhammad bin Khair bin Omar bin Khalifa, (d. 575 AH).
10- Index of Ibn Khair Al-Ashbili, edited by Fouad Mansour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, 1998 AD), 2nd ed.
- Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah bin Ahmed bin Othman (d. 748 AH).
11- Biographies of the Nobles, edited by a group of investigators, Al-Risala Foundation (1985 AD).
12- The Book of Lessons, edited by Abu Hajar Muhammad bin Al-Saeed, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, (Beirut), 1st edition.
- Al-Zarkali, Khair Al-Din bin Muhammad bin Muhammad Al-Dimashqi, (d. 1396 AH).
13- Al-A'lam, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, (2002 AD).
- Ibn Saeed Al-Maghribi, Abu Al-Hasan Ali bin Musa, (d. 685 AH).

14- Morocco in the Beauty of Morocco, edited by: Shawqi Dayf, Dar Al-Maaref, (Cairo, 1955 AD), 3rd edition.
- Al-Sam'ani, Abdul Karim bin Muhammad bin Mansour Al-Tamimi, (d. 562 AH / 1166 AD).
15- Al-Ansab, edited by Abdul Rahman bin Yahya, The Ottoman Encyclopedia, (Hyderabad, 1962), 1st edition.
- Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah, (d. 764 AH / 1362 AD).
16- Al-Wafi bil-Wafiyat, edited by Ahmad al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihya al-Turath, (Beirut, 2000 AD).
- Al-Dhabi, Abu Jaafar Ahmad bin Yahya bin Ahmad bin Umaira, (599 AH).
17- Bughyat al-Multamis fi Tarikh Rijal Ahl al-Andalus, Dar al-Kitab al-Arabi, (Cairo, 1967 AD).
- Ibn Adhari, Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad al-Marrakushi (d. 712 AH).
18- Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib, edited by J. S. Colin and Levi-Provençal, Dar al-Thaqafa, (Beirut, 1983 AD).
- Ibn al-Imad, Abu Falah Abd al-Hayy bin Ahmad bin Muhammad al-Hanbali, (d. 1089 AH).
19- Gold Nuggets in News of Those Who Have Passed, edited by Mahmoud Al-Arnaout.
- Ayyad, Judge Abu Al-Fadl Ayyad bin Musa Al-Yahsabi, (d. 544 AH).
20- Arrangement of Perceptions and Approximation of Paths, edited by Saad Ahmed Arab, (Morocco 1966 AD).
- Ibn Farhun, Burhan Al-Din Ibrahim bin Ali bin Muhammad, (d. 799 AH).
21- The Golden Brocade in Knowing the Notables of the School, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut).
- Ibn Al-Fardi, Abdullah Muhammad bin Yusuf Al-Azdi, (d. 403 AH).
22- History of the Scholars of Andalusia, edited by Izzat Al-Attar Al-Hussaini, (Cairo, 1988 AD).
- Kahala, Omar bin Redha bin Muhammad Al-Dimashqi, (d. 1408 AH / 1987 AD).
23- Dictionary of Authors, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, (Beirut).
- Al-Maqri, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad al-Tilimsani, (d. 1041 AH).
24- Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Ratib, edited by Ihsan Abbas, Dar Sadir, (Beirut, 1997).
- Al-Nabahi, Abu al-Hasan Ali bin Abdullah, (d. 792 AH),
25- History of the Judges of Andalusia called Al-Marqabat al-Ulya fi Man Yekhtikth al-Qada wa al-Fatwa, edited by the Committee of the Revival of Arab Heritage, Dar al-Afaq al-Jadida, (Beirut, 1983).
- Al-Yafei, Abu Muhammad Afif al-Din Abdullah bin Asaad bin Ali bin Salman (d. 767 AH).
26- Mir'at al-Janan wa'irat al-Yaqzan fi Ma'rifat min Hawadath al-Zaman, edited by Khalil al-Mansur, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut, 1997), 1st ed.